الخليفة عثمان بن عفان (ﷺ)

أبو عبد الله بن عثمان بن عفان القريشي(٤٧ ق.هـ – ٣٥ هـ / ٥٧٦ – ٦٥٦م)ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن السابقين إلى الإسلام. يكنى ذا النورين لأنه تزوج اثنتين من بنات نبي الإسلام محمد (ﷺ)، حيث تزوج من السيدة رقية ثم بعد وفاتها تزوج من السيدة أم كلثوم.

اسمه ونسبه:

هو: «عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وهو قريش بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان». يلتقي نسبه بنسب الرسول محمدﷺ في عبد مناف.

أمه: «أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة». وهي ابنة عمة النبي محمد، فأمها هي البيضاء بنت عبد المطلب.

نشأته:

ولد عثمان بن عفان ﷺ في الطائف وقيل في مكة سنة ٥٧٦ م بعد عام الفيل بست سنين. وهو من بطن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهم من كبار سادات قريش. أنجبته أمه أروى بنت كريز، وبعد وفاة والده عفان، تزوجت أمه من عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي وأنجبت منه ثلاثة أبناء وبنت، (هم الوليد بن عقبة، وخالد بن عقبة، وعمارة بن عقبة، وأم كلثوم بنت عقبة) فهم إخوة عثمان لأمه. وقد أسلمت أم عثمان وماتت في خلافته، وكان أحد اللذين حملوها إلى قبرها، وأما أبوه فمات في الجاهلية.

إسلامه :

أسلم عثمان بن عفان ﷺ حينما كان في الرابعة والثلاثين من عمره، حين دعاه أبو بكر الصديقﷺ إلى الإسلام قائلاً له: «ويحك يا عثمان والله إنك لرجل حازم ما يخفى عليك الحق من الباطل ،هذه الأوثان التي يعبدها قومك، أليست حجارة صماء لا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع ؟ فقال: بلى والله إنها كذلك. قال أبو بكر: هذا محمد بن عبد الله قد بعثه الله برسالته إلى جميع خلقه ،فهل لك أن تأتيه وتسمع منه؟ فقال: نعم». وفي الحال مرَّ رسول الله ﷺ فقال: «يا عثمان أجب الله إلى جنته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه». قال: «فو الله ما ملكت حين سمعت قوله أن أسلمت، وشهدت أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبد الله ورسوله».

«كان أول الناس إسلاماً فهو رابع من أسلم من الرجال. وكان عثمان قد حدث له موقف عند عودته من الشام، وقد قصه على النبي محمدﷺ حينما دخل عليه هو وطلحة بن عبيد الله، فعرض عليهما الإسلام وقرأ عليهما القرآن، وأنبأهما بحقوق الإسلام ووعدهما الكرامة من الله فآمنا وصدقا ،فقال عثمان:

«يا رسول الله، قدمت حديثا من الشام، فلما كنا بين معان والزرقاء فنحن كالنيام فإذا منادٍ يناديا: أيها النيام هبوا، فإن أحمد قد خرج بمكة، فقدمنا فسمعنا بك» .

صفاته:

كان عثمان ﷺغنياً شريفاً في الجاهلية، ومن أحكم قريش عقلاً وأفضلهم رأياً، كما كان محبوباً من قبلهم. وهو لم يسجد لأي صنم طوال حياته، كما أنه لم يشرب الخمر لا في الجاهلية ولا في الإسلام. كما أنه قد كان على علم بمعارف العرب في الجاهلية من الأنساب والأمثال وأخبار الأيام، وقد رحل إلى الشام والحبشة، وعاشر أقواماً غير العرب فعرف من أحوالهم وأطوارهم ما ليس يعرفه غيره من قومه. واهتم بالتجارة التي ورثها عن والده، ونمت ثرواته، وأصبح يعد من رجالات بني أمية الذين لهم مكانة في قريش كلها، فكان كريماً جواداً وكان من كبار الأثرياء وقد نال مكانة مرموقة في قومه، ومحبة كبيرة كان رجال قريش يأتونه ويألفونه للعديد من الأمور لعلمه،و تجاربه، وحسن مجالسته، وكان شديد الحياء، ومن كبار التجار. كما أنه لم يكن يوقظ نائمًا من أهله إلا أن يجده يقظان فيدعوه فيناوله وضوءه ،وكان يصوم

الدهر، ويلي وضوء الليل بنفسه، كثير الإحسان والحلم. وقد كان يكنى في الجاهلية أبا عمرو ،فلما جاء له عبد الله من رقية بنت النبي محمد ﷺ، كناه المسلمون أبا عبد الله. وكان عثمان يلقب بذي النورين لزواجه من رقية ومن ثم أم كلثوم بنتي النبي محمد ﷺ.

صفاته الخلقية:

«كان عثمان رجلا مربوعا ،حسن الشعر، حسن الوجه، أصلع ،أروح الرجلين (منفرج ما بينهما)، وأقنى (طويل الأنف مع دقة أرنبته، وحدب في وسطه)، ضخم الساقين، طويل الذراعين، قد كسا ذراعيه جعد الشعر، أحسن الناس ثغرا، أبيض اللون،وقد قيل: أسمر اللون.»

هجرته

كان الصحابة قد قابلوا أنواع التعذيب من قبل كفار قريش، وكان منضمنهم عثمانﷺ إذ عُذب من قِبل عمه الحكم ابن أبي العاص بن أمية، فلما زاد الأذى بالمسلمين جميعاً، واشتد الأمر حين قتل ياسر وزوجته سمية، فقال النبي للمسلمين: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا صَالِحَاً لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ»

وفي السنة الخامسة للبعثة هاجرت أول دفعة من المسلمين، وكانوا اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، ،كان عثمان ﷺ أول مهاجر إلى أرض الحبشة لحفظ الإسلام ثم تبعه سائر المهاجرين إلى أرض الحبشة. فوجدوا الأمن والأمان وحرية العبادة، وقد تحدث القرآن عن هجرة المسلمين الأوائل إلى أرض الحبشة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) (سورة النحل،آية: ٤١).

ثم هاجر الهجرة الثانية إلى المدينة المنورة. وكان رسول الله يثق به ويحبه ويكرمه لحيائه وأخلاقه وحسن عشرته وما كان يبذله من المال لنصرة المسلمين والذين آمنوا بالله، وبشّره بالجنة، وأخبره بأنه سيموت شهيداً.

خلافته:

بويع الخليفة عثمانﷺ بالخلافة بعد الشورى التي تمت بعد وفاة عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ (٦٤٤ م)، وقد استمرت خلافته نحو اثني عشر عاماً. تم في عهده

١. الشؤون المالية: لما تولى عثمان ﷺالخلافة لم يغير من سياسة عمر المالية، وإن كان قد سمح للمسلمين باقتناء الثروات وتشييد القصور وامتلاك المساحات الكبيرة من الأراضي، فقد كان عهده عهد رخاء على المسلمين.

٢. الولاية والولايات: حينما تولى عثمان الخلافة في بداية سنة ٢٤ هـ ، أقر الولاة الذين قد تم تعيينهم من قِبل عمر بن الخطاب في ولاياتهم عاما كاملاً، بعد ذلك أبقى البعض وعزل آخرين، وعمل على التعيين في هذه الأمصار حسب الحاجة وذلك بعد الأخذ بمشورة الصحابة. في عهده قام بضم بعض الولايات إلى بعضها لما يراه في مصلحة المسلمين، فقد ضم البحرين إلى البصرة، كما ضم بعض ولايات الشام إلى بعضها الآخر نتيجة لوفاة بعض الولاة أو طلبا لبعض منهم الإعفاء من العمل.

٣. إلزام الناس في الولايات بالمصاحف التي كتبت في المدينة على ملأ من الصحابة.

٤. القضاء: عندما تولى عثمان الخلافة كان على قضاء المدينة علي بن أبي طالب، وزيد بن ثابت، والسائب بن يزيد. ويذكر البعض أن عثمان لم يترك للقضاة الاستقلال بالفصل في القضايا، كما كان الحال في عهد عمر، بل كان ينظر في الخصومات بنفسه، ويستشير هؤلاء وغيرهم من الصحابة في ما يحكم به، فإن وافق رأيهم رأيَه أمضاه، وإن لم يوافق رأيهم رأيه نظر في الأمر بعد ذلك. وهذا يعني أن عثمان قد أعفى القضاة الثلاثة في المدينة من ولاية القضاء وأبقاهم مستشارين له في كل شجار يرفع إليه.

٥. هو أول من اتخذ دار القضاء في الإسلام، لأن من سبقه كان يتخذ المسجد كمكان للقضاء، وكان قد ترك أحكاماً فقهية في مجال القصاص والجنايات والحدود والتعزير والعبادات والمعاملات.

٦. جمع القرآن في مصحف عثمان في عهده انتشر الإسلام في بلاد كبيرة وتفرق الصحابة مما أدى إلى ظهور قراءات متعددة وانتشرت لهجات مختلفة فكان الخوف من اختلاف كتابة القرآن وتغير لهجته، فجمع عثمان المسلمين على لغة قريش أي لهجة قريش وهي لهجة العرب.
٧. الفتوحات في عهد عثمان بن عفانﷺ: الدولة الإسلامية في ذروة اتساعها حيث فتحت العديد من البلدان وتوسعت الدولة الإسلامية، فقد فتحت في أيام خلافته أرمينية وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص.
٨. وقد أنشأ أول أسطول بحري إسلامي لحماية الشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين.

قال ابن التين: «الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان أن جمع أبي بكر كان لخشيته أن يذهب شيء من القرآن بذهاب حملته. لأنه لم يكن مجموعا في موضع واحد، فجمعه في صحائف مرتبًا لآيات سوره على ما وقفهم عليه النبي. وجمع عثمان كان لما كثر الاختلاف في وجوه القراءة حتى قرؤوه بلغاتهم على اتساع اللغات، فأدى ذلك إلى تخطئة بعضهم البعض، فخشى من تفاقم الأمر في ذلك فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد مرتبًا لسوره، واقتصر في سائر اللغات على لغة قريش محتجاً بأنه نزل بلغتهم، وإن كان قد وسع في قراءاته بلغة غيرهم، دفعاً للحرج والمشقة في ابتداء الأمر، فرأى أن الحاجة قد انتهت، فاقتصر على لغة واحدة».

أسباب الفتنة:

وقد بدأت أحداث الفتنة في النصف الثاني من ولايته وهي التي أدت إلى استشهاده.
ومن أسباب تلك الفتنة

١. الرخاء في عهده وأثره في المجتمع.
٢. طبيعة التحول الاجتماعي وظهور جيل جديد غير جيل الصحابة.
٣. بالإضافة إلى الشائعات، والعصبية الجاهلية.
٤. ومن أهم الأسباب خوض المنافقين حيث وجدوا من يستمع إليهم.

استشهاده

في النصف الثاني من خلافة الخليفة عثمانﷺ التي استمرت لمدة اثنتي عشرة سنة، اشتد أمر أهل الفتنة وتهديدهم للخليفة بالقتل، تحرك الصحابة لردهم وقتالهم وهو ما رفضه عثمان ﷺوأمر بألا يرفع أحد السيف للدفاع عنه، وأن لا يُقتل أحد بسببه، فقد كان يعلم بأنهم لا يريدون أحد غيره، فكره أن يتوقى بالمؤمنين، وأحب أن يقيهم بنفسه، ولعلمه بأن هذه الفتنة فيها قتله.

هاجم المتمردون دار الخليفة عثمان ﷺ وأصيب ذلك اليوم أربعة من شبان قريش وقتل منهم أربعة، ثم هجموا على عثمان بن عفانﷺ فقتلوه، وهو يقرأ في المصحف فانتضح الدم على قوله تعالى: ﴿ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (سورة البقرة،الآية: ١٣٧).

وكان ذلك في يوم الجمعة الموافق ١٨ من شهر ذي الحجة سنة ٣٥ هـ، وعمره اثنتان وثمانون سنة، دفن في البقيع بالمدينة المنورة.